الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلّية الآداب واللغات **قسم الأدب واللغة العربية**

محاضرات في مقياس الأدب العالمي

مُعَدّة لطلبة السّنة الأولى ماستر أدب عربي

حديث ومعاصر

من إعداد الدكتور:

حمزة حمـــادة

المحاضرة الأولى

العهد الإغريقي

تمهيد:

1. **العهد الإغريقي**:

يُعدّ العهد الإغريقي من أكثر العهود القديمة ازدهارا وتطوّرا،ولعل هذا التّطوّرَ المذهل يعود – بالدّرجة الأولى – إلى طبيعة الإنسان الإغريقي المتميّز،فمازال العالَمُ بأسره إلى اليوم ينظر دائما إلى الأمّة اليونانيّة بعين الإكبار لما لها من تأثير كبير في العديد من العلوم والآداب المختلفة،فالفضل الكبير يعود إليهم « في تأسيس مدنيّة العالم الإنساني – بمختلف مظاهرها– فمن علومهم وآدابهم وفلسفتهم ونُظُمهم الاجتماعيّة اغترف الرومان،وعلى قواعد مدنيّتهِم،قامت المدنيّةُ اللاّتينيّة التي تفرّع منها عدد كبير من الحضارات الإنسانية ،وإلى معارف اليونان يرجع كذلك قسطُ كبير من الفضل في نهضة العرب بعد الإسلام،فكثير ممّا جادت به القرائح العربيّة في الفلسفة والرياضيات و الطب والطّبيعة و الفلك وعلوم الاجتماع و السّياسة و الأخلاق والاقتصاد ...وما إلى ذلك، يعتمد على أصل إغريقي»1 . ففضل الإغريقي إذا يمتد إلى مشارق الأرض ومغاربها،وكثير من الحضارات تدين للإغريق بالفضل الكبير..

ومن الأسباب الكثيرة التي ساهمت في تكوين الرّجل الإغريقي،طبيعة البلاد وما فيها من خضرةٍ،وأودية وجبال وتلال وهضاب،فاليونان تتموقع في موقع استراتيجي،فهي تتوسّط « شبه جزيرة البلقان،وخليج بحر إيجهْ بالساحل الشّمالي للبحر المتوسّط بمنطقة جبليّة سهولها ضيّقة تتناثر بها مجموعة من الجزر الصغيرة في بحر إيجة »[2].

وقد أثبت العلماء حديثا ما للطبيعة من تأثير على التكوين الفسيولوجي والسيكولوجي للإنسان،فإنسان شمال البحر الأبيض المتوسط مثلا يختلف عن إنسان جنوبه ،ويختلف عن إنسان الصحراء. كما أنّ لموقع اليونان الجغرافي أثر كبير على حضارتها من حيث التأثير والتأثّر« فهي قريبة من منبع حضارات الشرق القديم (مصر – بلاد الشام – العراق)كما كانت جزيرة كريت وقبرص بمثابة المعبر الرئيسي للاتصال الحضاري والتجاري بتلك الجهات وبآسيا الصغرى وساحل أفريقيا الشمالي كذلك كان ساحل بلاد الإغريق الغربي و الجزر القريبة منه بمثابة البوابة الغربية

لبلاد الإغريق،ومنها حمل التجار المهاجرون الحضارة إلى شبه الجزيرة الإيطالية وبذلك نشأة حضارة الرومان،وهكذا ساعد الموقع الجغرافي بلاد الإغريق على القيام بدور المستورد لحضارات الشّرق والموزّع لها لباقي أوروبا»[3].

لقد أدّت طبيعة التضاريس التي تشكل اليونان جغرافيا،إلى انقسام شعبها إلى عدّة قبائل إلى عدّة قبائل ذات أصل واحد،وإن كانت هناك بعض الاختلافات البسيطة في العادات والتقاليد،ولقد« ظهر هذا الاختلاف في أوضحَ ما يكون بين مجموعتين منها،كانا من أبرز مجموعات القبائل اليونانية،وأعظمها أثرا في التاريخ...حتى لقد كانا يمثلان إلى حدّ كبير معظم الشعب اليوناني .إحداهما مجموعة القبائل الدّوريةDORIENS – التي كانت تسكن منطقة لاكونياLACONIE من شبه جزيرة البيلوبونيزPELOPONESE وقد اشتهرت بلادهم باسم عاصمتها إسبرطة SPARTE أو (لاسيدومونيا)LACEDEMONIE .وثانيهما مجموعة قبائل (الآكتين)(ACTEEN) التي تسكن منطقة (آتيكاATIQUE) أو (أوكتي ACTEEN)وقد اشتهرت بلادهم باسم عاصمتها (أثيناATHENES) كما اشتهروا هم أنفُسهم باسم الآثينيين»4.وقد ذهب الدكتور عبد الواحد وافي إلى ذكر مجموعة من الخواص التي يتمتع بها الشعب اليوناني والعقلية اليونانية،وأهمّ المؤثرات فيها،حتى اجتمعت لهم تلك المواهب التي لم تجتمع لغيرهم من الشّعوب،ومن أبرز تلك الخواص:

تنوّع استعداداته ونبوغه في شتى فروع الحياة.(صناعة ،تجارة،زراعة ، بحوث علمية ، لاهوت ، ماورائيات...)

عمق التفكير ودقّته،وعدم قناعته بالفهم السّطحي،والإلمام بظواهر الأمور(وهي ظاهرة مقصورة على الشعب اليوناني كله).

يغلب عليهم النزوع إلى التفاؤل والنظر إلى الحياة بمنظار جميل.(وصورُه واضحة في معظم فنون آدابهم وتفكيرهم..)

الميل إلى التحرّر من القيود والنفور من كل ما يحدّ الاستقلال الفردي(ليس من طبيعته التمرد على التقاليد،فهم أكثر الناس احتراما لتقاليدهم وتقديسا لآثار سلفهم ويتجلى ذلك في عبادة أبطالهم الأوّلين،وتظهر هذه النزعة في الأدب والفلسفة والسياسة و التشريع و النقد الأدبي والاجتماعي..[5] .

نستخلص من هذه النقاط ونحن إزّاء دراسة الشخصية اليونانية،أنّنا « أمام شعب عبقري أوضح بشكل حاسم،أنّ للعقل البشري أهدافا محدّدة بعينها،وصاغ لنفسه فكرة جديدة تماما عن سمات الحياة البشريّة،هذا الشعب الذي أخذ من حضارات الشّعوب الأقدم التي سبقته في مضمار الحضارة،وأفاد ممّا أخذ فائدة كبيرة كان على وعي بها وعرفان،ولكنه عمد إلى إعمال الفكر طليقا من كل القيود،وكان منطلقه في البحث تجريديا يستهدف حقائق الأشياء أولا قبل الفائدة العملية التي يتبعها تطبيق نتائج البحث في أغراض الحياة اليوميّة »[6]

ولعل أهمّ ما أثّر في العقلية اليونانيّة، عاملان اثنان، يهمنا منهما واحد ،وهو الروحي المتصل بعقائدهم الدينية والذي يفسّر لنا ذلك الارتباط الوثيق الذي نجده عند قدماء اليونان بمعتقداتهم الدّينية ومعبوداتهم التي ألهمت الشعراء والكتاب،وخلّدت أعمالهم،يدفعنا هذا العامل الروحي إلى الحديث عن الميثولوجيا (MUTHOLOGI).

المحاضرة الثانية

الميثولوجيا

2. تعريف الميثولوجيا:

ذهب الدّارسون مذاهب شتى في تعريفهم للميثولوجيا،فاختلفت تعريفاتهم باختلاف مصادرهم وتنوّعها،لكن الميثولوجيا قبل ذلك كله هو « مفهوم يسري في العديد من مجالات الفكر المعاصر:الأنثر بولوجيا،علم النفس، الدين المقارن، علم الاجتماع ومجالات أخرى كثيرة »[7] ولعل التعريف الحرفي للكلمة،وهي كلمة أعجمية من قسمين (ميث Mythe و لوجيا Logie) تعني علم الأسطورة أو علم الأساطير ،ولعل صعوبة الميثولوجيا في كونها علما تكمن في تفسيرها لعدّة نقاط « من بين عناصر أخرى لا عقلانية ظاهريا موجودة في الأساطير،الحكايات البرية و العبثية عن بدايات الأشياء و أصل الإنسان و الشمس و النجوم و الحيوانات،وعن الموت و العالم عموما,والمغامرات الدنيئة و السّخيفة التي تقوم بها الآلهة, ولماذا يُنظر إلى الكائنات الخارقة على أنّها داعرة وزانية وسارقة وعنيفة وآكلة للحوم البشر ،وأساطير التخلق إلى نباتات الحيوانات ونجوم ،والحكايات المقزّزة عن عالم الأموات ونزول الآلهة إلى أماكن إقامة الموتى وعودتهم منها»8.كل ذلك وأكثر تجيب عنه الميثولوجيا.

وعلى الرغم من جهود العلماء المبذولة في البحث في مصادر الأسطورة ومعانيها وأهدافها، إلا أنه مازال هناك خلط وتداخل كبير في المصطلحات بين الأسطورة والحكاية والخرافة وغيرها، سببه اشتراك هذه المصطلحات في البعد عن الواقع و الخيال المفرط ناهيك عن الفروق الموجودة بينها من حيث طبيعة الأبطال و تكوينهم وملامحهم وما شابه ذلك.

ويمكن تقديم عدّة تعريفات للأسطورة(الميثولوجيا) وهي في النهاية تعريفات موجزة هزيلة، أمام كم التعاريف المقدّمة لها.وسنلاحظ أن بعض تلك التعريفات لا تفرّق كثيرا بين الخرافة والأسطورة والحكاية الشعبية وغيرها،يعرف أحدهم أن الأسطورة «تروي تاريخا مقدّسا ،تروي حدثا جرى في الزمن البدئي،الزمن الخيالي،هو زمن البدايات...تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا،لا فرق أن تكون هذه الحقيقة كلّية كالكون مثلا ،أو جزئيّة كأن تكون جزيرة أو نوعا من النبات،أو مسلكا يسلكه الإنسان..إذن هي دائما سرد

لحكاية خلق تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء،كيف بدأ وجوده »9.فهي إخبار عن حقيقة شيء يصعب تخيل بدايتها وكيفيتها.

ويرى آخر أنّ« الأسطورة في المقام الأول، نوع معيّن من القصة،إنها قصّة بعض شخصيّاتها آلهة أو مخلوقات أخرى أكثر قدرة من البشر.ومن النادر وجودها في تاريخ الأحداث الماضية،فعملها يحدث في عالم هو فوق الزمن العادي أو سابق له in illo tempore حسب تعبير ميريسيا إلياد،وبذا فإنّها مثل الحكاية الشعبية،عبارة عن نموذج قصة مجرّدة تستطيع شخصيّاتها أن تقوم بما تريده،...ولا داعي أن تكون الحوافز معقولة أو منطقية،فالأمور التي تحدث في الأسطورة هي أمور لا تحدث إلا في القصص.»[10] ويُلخص لنا آخر مفهوم الأسطورة بقوله « إنّ كلمة ميثولوجيا تعني..مجملَ أساطير شعب ما أو شعوب متعدّدة،وتعني العلم الذي يتناول تلك الأساطير أيضا،كما يعني جذرها اليوناني(Muthoi)الخرافة،إضافة لذلك سواء كان شخوصها خارقين أم لا ،ويكون(الميثولوجي)بالنتيجة ما يتعلق بالأسطورة أو الخرافة أو عالم الأساطير و (الميثوغرافي)مُدوِّنُ الأساطير أو مؤلّفُها »[11]فالميثولوجيا سرد لأحداث غير منطقية خارقة كشخصياتها،التي قد تكون آلهة أو أنصاف آلهة أو مخلوقات غريبة أقوى من البشر،وهذه الشخصيات هي التي يعج بها الأدب اليوناني،ويعتقد فيها اليونانيون اعتقادا لا يداخله لشك، وتدلنا على هذا الإيمان« أساطير اليونان وآدابهم أنّهم كانوا يعتقدون أن وراء الطبيعة أربع قوى تسيطر على العالم وتشرف على شؤنه:القضاء،الآلهة،وأنصاف الآلهة،وأرواح أبطالهم الأولين»[12].

أما القضاء – بالنسبة للإغريق – فقد كان أهم شيء في هذا الكون،والكلمة الأولى والأخيرة عائدة إليه،فقد كانوا« يعتقدون أنّه القوّة العليا المسيطرة على الآلهة والأناسي،وكل ما في السماوات و الأرض وأنّه هو الذي يرسم كل شيء فيجري كل شيء وفق ما رسم،وأنّه لا يد لمخلوق ولا للإله على نقض ما أراده،أو تغيير ما قضى به »13. فللقضاء إذا اليد الطّولى في كل شيء .

أما الآلهة فهي أكثر ما حفلت به الأسطورة،ودارت حولها روايات عديدة و متنوّعة، فاعتقد فيها الإغريق،ونسبوا إليها جميع مظاهر الطّبيعة،بل إنّ جميع مظاهر الطبيعة ما هي سوى آلهة أعطوها صفات بشريّة، فهم« يُشبِهون البشر في معظم صفاتهم: « فهم في نظرهم يأكلون ويشربون،ويتناسلون ،وينامون و ويمشون في الأسواق و يشغلون حيزا من الفراغ، وتمر بهم الأزمنة وتنتابهم الأمراض،ويرتكبون أحيانا الجرائم وينقادون أحيانا لشهواتهم و يُغرّر بهم ويتزوّج ذكورهم

بإناثهم،وقد يتصل ذكورهم بإناث البشر وإناثهم بذكور الآداميين...هذا إلا أن تكوينهم الجسمي لا يختلف في جملته عن تكوين بني الإنسان وكل ما كانوا يمتازون به في نظرهم لا يتجاوز صفتين: إحداهما البقاء فهم مخلّدون لا نهاية لوجودهم،وثانيتهما القدرة، فباستطاعتهم أن يأتوا بما يعجز عن القيام به بنوا الإنسان»[14]

والمتأمل في هذه الآلهة يرى أنّه يمكن عدّ مئات الموجودات التي يمكن أن تُعتبر آلهة حسب التصور اليوناني القديم، ومع ذلك يمكن تقسيم الآلهة اليونانية إلى طبقتين « إحداهما طبقة (كرونوس أو ساتورن)، وثانيتهما طبقة (زوس أو جُبيتير) أما الطبقة الأولى فيُطلق على أفرادها اسم التيتانيين Titans،وهم الأولاد المباشرون للسماء والأرض،فقد نشئوا عن اتصال أبيهم السماء(إيرانوس uranus) بأمهم الأرض(جوا Goea) »[15] وأفراد هذه الفئة كُثُرٌ،ومن أشهرها – كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد الواحد وافي–

كرونوس Cronos أو ساتورن saturne و هو رئيس هذه الأسرة،وابن السماء والأرض.

ريّا Rhea أو سيبيل sybele.وهي زوج ساتورن وأخته.

المحيط Ocean وهو ابن الأرض والسماء وأخو ساتورن وأبو العذارى المسميات بالنّيمفNymphes.

جابيت Japet وهوابن الأرض والسماء،وأخو ساتورن،وأبو بروميتيه و أطلس.

أما الطّبقة الثانية فهي طبقة (زوس)وأهم أفرادها:

زوس Zeus أو جبيتير Jupiter.وهو أصغر أولاد ساتورن،ورئيس الأسرة الثانية من الآلهة و أشهر آلهة اليونان على الإطلاق.

هيرا Hera أو جونون Junon: وهي زوج جُبيتير(زوس)الشرعية و أخته وبنت (ساتورن) وهي آلهة الزواج اشتهرت بالغيرة والحقد.

بوزيئدون Poseidon أو (نبتون Neptun)،وهو إله البحار وهو ابن ساتورن و أخو جبيتير[16]

وهناك آلهة كثيرة أخرى في هذه الطبقة،وهي – على سبيل الحصر – :

هادس Hades وهو إله جهنم والموت.

بروميتيه Promethee إله النار وخالق وخالق الإنسان وحاميه و مؤسس مدنيته.

أطلس Atlas:حكم على جبيتير أن يظل الدّهر حاملا الأرض على عاتقه.

هيفيستوس Hephaistos: أو (فلكان) vulcan ولد مشوّها ذميم الخلق ،وعلى ذمامة خلقه كان زوجا للزهراء إلهة الجمال.

أريس Ares إله الحرب.

هيرمس Hermes – هيراكليس أو هيركول – ديونيزوس Dionnysos أو باخوس Bachus وهو إله الخمر – آبولو Apollo وهو من أشهر آلهة الإغريق. آرتيمس Arthemis أو ديانا Diana إله الصيد وملكة الغابات. – آثينا Athena. إلهة الحكمة والعقل والفنون.

أفروديت Aphrodite أو فينوس Venus إلهة الجمال والحب والتناسل.

الموز Muses ربات الفنون التسعة (الفلك،التاريخ،الموسيقى،الرقص،الكوميديا، التراجيديا،الشعر الرثائي،الشعر الغنائي،الشعر الحماسي).

النيمف بنات المحيط Nymphes. – يو Io وهي إحدى النيمف.

ديميتير Demeter أو سيريس Ceres.إلهة الخصب والزراعة والأرض.

<u>أنصاف الآلهة</u>:

كما كان للآلهة حضور بارز في الحياة الدينية و الأدبية عند الإغريق،كان لأنصاف الآلهة حضور أيضا حيث تذكر مصادر الأدب الإغريقي أن عدد الآلهة يفوق الثمانين ومائة إله ونصف إله منها ما كان لها دور عظيم في حياة اليونانيين

في تفسير ما عجز عنه الأقدمون من ظواهر ،ومنها ما كان لها أدوار ثانوية،ولعل هذه الأدوار الثانوية مقصورة على أنصاف الآلهة،فهي أدنى منزلة من الآلهة في جميع شؤونها وصفاتها « وتُصورهم الأساطير في صور أتباع وحاشية للآلهة...ومنهم(السيكلوب)الملازمين للآلهة (هيفيستوس)و(إريس – وإليو و كيريس)وهم أتباع الإله (مارس) و (السيلين و الساتير) أتباع ديونيزوس و (أرجوس) رمز اليقظة ،وغيرهم كثيرون»[17].

<u>أبطال اليونان :</u>

كان لأبطال اليونان المكانة المرموقة في نفوس الإغريق،وذلك للدور الذي قدموه لوطنهم بل « تُرجع إليهم الأساطير الفضل في تأسيس مدنية اليونان ونهضتهم في مختلف شؤون الحياة وتفوّقهم على ما عداهم من الشعوب وتَنسب إليهم تأسيس المدن اليونانية،ورد الغارات عنها...وما إلى ذلك،ومعظمهم من سلالة الآلهة،أو ممن يمتّون إليها بصلة قريبة،وقد حرص اليونان على

تمجيدهم،وتخليد ذكراهم،فنصبوا لهم التماثيل والهياكل، والمعابد،وأقاموا لتكريمهم أعيادا دينية و تقربوا إلى أرواحهم بتقديم القرابين وخصّوهم بصنوف العبادات وأنزلوهم منزلة من التقديس لا تقل كثيرا عن منزلة الآلهة »18.ومن أشهر أبطال اليونان أولئك الذين أتت على ذكرهم ملاحمُ اليونان وبخاصة ملحمتا هوميروس(الإلياذة و الأوديسة)،ويأتي على رأسهم كل من:(آخيل – باتروكل – أغاممنون – مينيلاس – هيلانة – نستور – بينيلوب)

تلك هي إذا المعتقدات الأربعة التي آمن بها الإغريق،وإن كان الفضل الأعظم والقدر الأجل في القرون المتقدّمة يعود للآلهة التي عبدها اليونانيون « وكانوا يستشيرونهم في كل كبيرة و صغيرة ،ويبذلون قصارى جهدهم لنيل رضاهم...آمنوا بهم أشدّ الإيمان في القرون الأولى ثم أخذ إيمانهم يضعف تدريجيا كلما ارتقى تفكيرهم واستنارت عقولهم»[19] فاهتزت مكانة تلك الآلهة عند العلماء والأدباء خاصة،وأخذ الإيمان بهم يضعف شيئا فشيئا،بتطور الفكر وظهور علوم جديدة،كالفلسفة والرياضيات اللتان فسحتا للعقل المجال واسعا فصار هو السّيد والأولى بالاحترام،فانحصر الاعتقاد السائد في الآلهة المتعدّدة،إلى أن ظهرت المسيحية فقضت على تلك العقيدة. « ولكن مهما يكن من أمر فإنّ الدّين اليوناني وما اشتمل عليه من أساطير وخرافات،يُعتبر أساسا لدراسة الأدب اليوناني و لا يمكن لأي دارس أن يستذوقه شعرا أو نثرا إذا لم يُلمَّ بتفاصيل هذا الدّين »[20].

المحاضرة الثالثة

الملحمة(تعريفها خصائصها تقنياتها..)

تمهيد

الأدب اليوناني:

يعتبر الأدب اليوناني من أكثر الآداب الأوروبية القديمة تطورا وازدهارا، ومن أكثرها روعة وجمالا، وقد أجمع مؤرخو الأدب على تقسيمه إلى عصور – قد تتفاوت من مؤرخ إلى آخر – مرّ بها حتى وصل إلينا مكتملا رفيعا ور صينا، وإن كان بعض المؤرخين لا يميلون إلى تقسيم تلك العصور و « تحديدها بسنوات معيّنة لأنّ التحديد الدّقيق لا يمكن تطبيقه في دراسة الأدب، ولأن الأدب اليوناني بالذات امتاز بالتّطور المنطقي المستمر، فيكاد يكون الأدب الوحيد بين آداب أوروبا القديمة و الحديثة الذي تطورت فنونه تطوّرا طبيعيا يتناسب مع تطوّر المجتمع وازدهار حضارته»[21].

وقد قُسّمت مراحل تطور الأدب اليوناني إلى العهود التالية « العهد القديم أو ما قبل الأدب– العهد الهوميري – العهد الآتيكي – العهد الهيليني »[22] وقد تميز كل عهد بخصائص تجعله يختلف في بعض جوانبه عن العهد الذي يليه، ولعل أشهر ما عرفه هذا الأدب على مرّ عهوده هو ظهور فن الأناشيد والملاحم، ومن أشهر الملاحم التي وصلتنا عن تلك الفترة هي ملحمة:رحلة الأراغونيين، و ملحمة طروادة (الإلیادة) ، مغامرات أوديسيوس (الأوديسة) و ملحمة طيبة « أما الأولى فلم تصلنا منها إلا شذرات استطعنا أن نعرف منها أن هذه التراتيل كانت جزءا من العبادات التي ظهرت في تراقيا، وأشهر الشعراء الذين نظموا هذه الأناشيد هم: أورَفِيُوس و لِينُوس و مُوسَايُوس...ولكن هؤلاء الشعراء ينتسبون جميعا إلى عالم الأساطير لأنهم أبناء آلهة ملهمون ينطقون بوحي من ربات الشعر، ولم يتبق لنا شيء من آثارهم، لذا تُعتبر الملاحم أقدم القصائد التي وصلتنا عن الأدب اليوناني »[23].

من هنا أمكننا القول بأن ملحمتي الإلياذة والأوديسة هما أقدم ما حفظه لنا التاريخ عن الأدب اليوناني.

« ومهما يكن من خلاف في أمر الإلياذة فإنّ تاريخ تأليفها أو تأليف أقدم قطعة فيها لا يعدو القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد، ولمّا كان من المسلّم به أن نشأة الأمّة اليونانية أقدم من هذا بعدّة قرون...فلابدّ أن تكون الإلياذة قد سُبقت بمنتجات أدبية عفى عليها الدّهر فلم يصلنا منها شيء يُعتدّ به »[24] لتقادم العهد، وما انتابت العهود الغابرة من صراعات ونزاعات لسبب أو لآخر، كانت

حائلا في وصول بعض الأجناس الأدبية التي يمكن أن يكون الإغريق قد تعاطوها. والإلياذة نفسها « أصدق دليل على ما نقول، وذلك أنها قد بلغت في ألفاظها وتراكيبها وأساليبها ومعانيها ومناهج دراستها للحوادث التاريخية شأوا راقيا لا يمكن أن تبلغه أمة ما في مبدإ عهودها، ولا يعقل أن تصل إلى مثله آداب إنسانية إلا بعد أن تكون قد سارت شوطا بعيدا..في طريق النضج والكمال »[25].

الملحمة :

تعتبر الملاحم إذن من أبرز ما وصلنا عن الأدب اليوناني، كما تعتبر الشاهد الوحيد على حضارة تلك الحقبة والمؤرّخةِ لها.

والملحمة في اللغة تعني حسب ابن منظور :« الواقعة العظيمة،والحرب ذات القتل الشديد، وموضع القتال، والجمع ملاحم وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها »[26] وفي القاموس المحيط هي« الوقعة العظيمة»[27] وفي معجم العين هي« الحرب ذات القتل »[28] الملحمة في التعريفات السابقة تعني الحدث العظيم المهول الذي فيه قتل كثير.

أما في الاصطلاح فقد اختلفت التعريفات وتفاوتت أحيانا، فمنهم من يرى أنّ الملحمة: « قصة شعرية لبطولات قومية، يمتزج فيها الخيال بالواقع، والأسطورة بالحقيقة اختلاطا شديدا »[29] ويعرفها آخر بقوله «هي قصّة شعرية أو شعر قصصي، يحتوي على أفعال عجيبة وحوادث خارقة للعادة، ومن أهم عناصره الوصف مع الحوار»[30] ويعرفها آخرُ بكونها قصيدة طويلة « تسجل الأعمال البطولية الخارقة، التي صدرت عن بعض الأبطال الحقيقيين أو الأسطوريين، والتي تمتزج فيها أفعال البشر وتصرّفات بعض الكائنات الإعجازيّة الخفيّة كالآلهة و المردة والشياطين و الوحوش المخيفة، بل أيضا بعض القوى الكونيّة والظواهر الطّبيعيّة التي تقوم بدور مساعد، لكنّه فعَّال في إنجاز هذه الأعمال البطوليّة »[31].

تتفق التعريفات السابقة جميعها على خصائص هامة تتميز بها الأسطورة وهي: كونها قصة تحكي أحداثا بطولية قومية، وأنها تستغرق وقتا طويلا، تختلط فيها الشخصيات الواقعية بالخيالية والأسطورية اختلاطا بيّنا، ولعل هذا المزج الرائع بين كل تلك الشخصيات والأحداث وتقديمها في ذلك القالب الجميل الممتع، يحتاج إلى عقل فنّان حكيم مدبر ،هذا الفنان هو (هوميروس).

هوميروس:

شخصية فذّة، مثيرة للجدل، قيل عنها الكثير،وأثيرت حولها الكثير من التساؤلات الخطيرة،أبرز تلك الأسئلة دار حول وجوده من عدمه،وإن كان موجودا فعلا،فهل هو من كتب الملحمتين،أم أحد غيره من كتبهما،وغيرها من هنا جاء ما اصطلح عليه بالمشكلة الهوميرية، «

حيث أثار ظهور هوميروس في بداية تاريخ الأدب الإغريقي هذه المشكلة،فأصرّ بعض العلماء والفقهاء على أنّ هذا الشاعر لم يوجد على ظهر الأرض قطّ،وأنّ اسمه هوميروسhomeros يعني إمّا الرهينة أو الأعمى،أو حرفيا الذي لا يبصر home horon ،منحوت أبدعه الخيال الأسطوري،وذهب البعض إلى القول بأنّه كان هناك عدّة شعراء لا شاعر واحد بهذا الاسم،ثم خفّف هؤلاء من غلوائهم،وقالوا إنّه كان على الأقل شاعران بهذا الاسم أحدهما نظم (الإلياذة)والآخر هو مؤلف (الأوديسيا) »[32].

ظهرت المشكلة الهوميرية « منذ القرن السادس عشر الميلادي عندما أعلن العلامة سكاليجر(Scaliger)أن الإلياذة ليست من نظم شاعر واحدوتبعه في الرأي علماء القرن السابع عشر والثامن عشر(أوبينياك Aubignac و فولتير، ولكن نظريتهم لم تلق تأييدا قويا لأنها لم تقم على براهين علمية ،ثمّ بُعثت المشكلة الهوميرية عندما درسها بعناية ظهوميروس لم ينظم الإلياذة كلها،ولكن نظم عددا كبيرا من أناشيدها،أما بقية الأناشيد فقد نظمها شعراء مقلّدون واعتمد الناقد الألماني في تدعيم رأيهعلى أن الكتابة لم تكن معروفة وأن الذاكرة لا يمكن أن تنتج إنتاجا ضخما مثل الإلياذة،ولقد سادت نظريته وقتا طويلا ثم وجدت معارضة شديدة ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر،عندما أثبت النقاد الفرنسيون أرنست هافت (A.havette)وجول جيرار(G.girard)أن الإلياذة من نظم شاعر واحد ولقد وجدت هذه النظرية رواجا شديدا وتحمّس لها علماء عديدون في مختلف الدول »[33]

ولكن برغم كل الذي قيل حول شخصية هوميروس، فلا أحد يمكنه أن يُنكر ما لهذه الشخصيّة من فضل، سواء أكانت حقيقية أو أسطورية، فهوميروس « هو ينبوع الأدب الإغريقي الذي انبثق جارفا،من قمّة شاهقة،فسالت منه الأنهار هنا وهناك، ونهل منه كلّ من جاء بعده في الأدب الإغريق و الروماني ثمّ الأوروبي و العالمي،صارت أشعار هوميروس بمثابة كتابات مقدّسة،توجز جوهر المعرفة الإنسانيّة وتجسد التفوّق البشري»[34]

<u>الإلياذة :</u>

تعد الإلياذة والأوديسة – برغم كل ما قيل عنهما – ذرّتا الأدب الإغريقي و من أبرز و أروع ما أنشده هوميروس إلى يومنا هذا، فهما عملان أدبيان متكاملان من حيث الموضوع واللغة والصياغة.و« الإلياذة أو الإلباس نسبة يونانية إلى إليون عاصمة بلاد الطرواد...وضعها هوميروس على أسلوب بسيط،وبناها على موضوع واحد هو(غيظ أخيل)ونهج بها نهجا متناسقا،قص في أثنائه حوادث متسلسلة لا تتشعب وقائعها بتعدد الأشخاص مهما كثروا وكثرت،فهي بهذا المعنى سلسلة واحدة من أولها إلى آخرها»[35].

أما موضوع الإلياذة – وحسب ما تشير إليه بعض المراجع – يبدأ من الاجتماع الذي ضمّ الآلهات الثلاث (آفروديت،آثينا،هيرا) واحتكامها (لباريس بن بريام) ملك (طروادة)، في من هي أجمل الآلهة،فأقر «باريس» بتفوق«آفروديت » بجمالها على الجميع، فغضبت الآلهة لذلك غضبا شديدا، وبالمقابل وعدت(آفروديت، باريس) بتزويجه من أجمل نساء البشر نظيرا لهذا الحكم الذي جاء في صفها،وجهزت خطة لذلك.

لكن معظم المراجع تبدأ الأحداث من « قيام باريس بن بريام ملك طروادة بخطف هيلين زوجة مينيلاوس،ملك إسبرطة اليوناني،الذي كان قد أضافة عنده باريس وأكرم وفادته ، لكن الشاب أساء إلى حق الضيافة وعاد إلى طروادة بزوجة مضيفه ،وبكميّة كبيرة من الكنوز الثمينة،فبادر مينيلاوس بمساعدة أخيه« أغاممنون» ملك « ميكينا » إلى جمع جيش كبير شاركت فيه كل الجيوش اليونانية اتجه نحو (طروادة) بقيادة أغاممنون،وضُرب حولها حصارا استمر عشر سنوات،ولم يستطع اقتحامها إلا بالحيلة،وذلك بعد أن بنى اليونانيون حصانا خشبيا أدخلوا فيه خيرة أبطالهم،وتظاهروا بالجلاء عن المدينة،فأدخل الطرواديون الحصان فخرج منه المقاتلون وفتحوا أبواب المدينة،فهجم الجيش و أُعمل السّيف في أهلها ثم تركها طعما للنار،وهكذا أُبيدت المدينة وردت هيلين إلى مينيلاوس »[36]

<u>الأوديسة:</u>

أما الأوديسة – وهي ذرة هوميروس الثانية – فتتناول قصة عودة الجيش الإغريقي من طروادة منتصرا إلى اليونان،وتروي أثناء ذلك ما أصاب عناصر الجيش من متاعب جمة،مركزة على بطل من أبطال تلك الحرب،وهو(أوديسيوس)،وعلى اعتبار أن الآلهة انقسمت في حرب طروادة إلى قسمين،منْ ساعد الطرواد وفيها من ساعد اليونان وبالتالي وعند عودة اليونانيين إلى بلادهم«غضب عليهم آلهة كثيرون وأخذوا يتربصون بهم الدوائر،وكان أشدّهم نقمة الإله (نبتون)ربّ البحار،فقد أرسل عليهم هوج العواصف،وأثار عليهم أمواجا كالجبال، فحطّم سفنهم،وأغرق منهم منْ أغرق وقذف بكثير منهم على سواحل مصر وغيرها،وضلّل ببعضهم في البحار...وكان (أوليس) أو(أوديسيوس)من أشقى أفراد هذا القسم الأخير و أحقّهم بعذاب (نبتون)،فقد اعتدى يوما على أحد أبناء هذا الإله ولطمه على عينه لطمة أفقدته البصر،فأخذ نبتون يجرّعه على سطح البحر من صنوف العذاب...ثم قذف به في جزيرة تملكها عذراء (منتيمف)البحار تُدعى(كالبسو) »[37]. كما ركزت الأوديسة في عرض أحداثها على زوج أوديسيوس(بينيلوب)،وما كانت تعانيه من الطامعين والخطاب« بيد أنّ جمالها الفاتن وطول غياب زوجها قد أغريا بها طائفة من نبلاء المملكة وشبانها،فلازموها ملازمة الظل،وكلّ منهم يريدها لنفسه فلم يزدها هذا إلا وفاء لزوجها واشمئزازا من تهافتهم،ولكنها رأت أنّ مفاجأتهم بالرفض قد

تدعوهم إلى الفتك بها وبابنها الصّغير،فآثرت مصانعتهم وخداعهم لتأمن شرّهم حتى يعود زوجها،أو يشتدّ ساعد ولدها»[38].

أما الشخصية الثالثة التي تركز عليه الأوديسة هي (تيليماك) ابن أوديسيوس،الذي طلبت منه أمّه أن يخرج في البحث عن أبيه،وقد ساعدته الآلهة آثينا في ذلك« وقد ظل تيليماك يجوب البحار حتى بلغ شاطئ بيلوس جزيرة الملك (نستور) فأكرم هذا وفادته وزوّده بنصائح المجرّب الحكيم،ولكنه لم يكن يعلم شيئا عن مقرّ أبيه،فغادر تيليماك جزيرة نستور،واستأنف السفر حتى بلغ إسبرطة حيث التقى بمينيلاس وزوجه هيلانة،فاحتفيا به ولكنّهما لم يستطيعا أن يُنبئاه بشيء عن مقرّ أبيه لعدم علمهما به »[39] وتمضي الأوديسا في سرد الأحداث والمخاطر التي صادفت تيليماك في رحلة البحث عن أبيه،إلى أن يجتمع شمل أوديسيوس بزوجه وابنه،بعد أن تمكن من الانتقام من كل أولئك الذين أسأوا إليه ولزوجه.

3- هيسيودوس :

وقد عرفت الحركة الأدبية اليونانية أنواعا أخرى من الآداب،يأتي على رأسها الشعر التعليمي،الذي يهدف إلى تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم « فهو يعرض إلى الأخلاق و العقائد و العبادات والتاريخ و العلوم والفنون والصّنائع »[40] وقُد عُرف بهذا النوع من الكتابة شاعر إغريقي يُدعى (هيزيود) وقد اشتهر كثيرا في اليونان بقصيدتيه(الأعمال والأيام،و التيوجونيا)كشهرة هوميروس بالإلياذة والأوديسا.

كما ظهر الشعر الغنائي أو الوجداني،وانتشر بشكل واضح،وكان لانتشاره علاقة بالتطور العقلي والاجتماعي والسياسي لليونان،وللشعر الغنائي فنون كثيرة« أشهرها أربعة أنواع وهي القصائد النوميّة و الإليجيّة و اليَمبيّة و الميليكيّة»[41]

أمّا النّوميّة،فهي قصائد دينية بأوزان خاصة مؤلّفة في تمجيد الآلهة يُغنّيها عادة مغنّ واحد مصحوبا بالقيثار أو المزمار.

أمّا القصائد الإليجية و اليمبية،فقد امتازت الإليجية باشتمالها على الحوار و المحادثة،مقتصرة في بادئ الأمر على الرثاء والنّدبة و بكاء الأعزّاء،أمّا القصائد اليمبية فكانت تميل إلى التعريض و النقد و التهكم.

أما القصائد المليكية وهي أرقى أنواع الشعر الغنائي فقد كانت قصائده غنائية خالصة تُعنى بالمسائل التي تدور حول الوجدان والعاطفة[42] .

المحاضرة الرابعة

ولادة الدراما

1- تعريف الدراما :

أ - لغة: كلمة دراما في الأصل اليوناني تعني " الأداء ، أو الشيء المؤدّى . وتعني كلمة تياتر: مكان المشاهدين ثم أصبحت تعني المشاهدين أنفسهم ، ثم تدرج معناها ليصبح العمل المسرحي ذاته "[43] .

ب - اصطلاحا: تطلق كلمة الدراما على أي موقف أدبي ينطوي على صراع ويتضمّن تحليلا له عن طريق افتراض وجود شخصيتين على الأقل . أو أنّها مجموعة من مسرحيات تتشابه في الأسلوب أو في المضمون .

كما أنّها شكل من أشكال الفن قائم على تصوّر الفنان لقصّة تدور حول شخصيّات تتورّط في أحداث معيّنة ، وهذه القصّة تحكي نفسها عن طريق الحوار المتبادل بين الشخصيّات، ويمكن عمليّا تقديم قصّة بهذا الشكل في عرض صامت خال من الحوار . والفن الدرامي هو الذي تكون فيه الكلمات وسيلة للتعبير عن أفكار الأشخاص الذين تخيلهم الكاتب ، وباستعمال الكلمات وحدها يخلق الكاتب الدرامي حبكة لها شكل وهدف ، وتلتزم بالخلفية التراثية والزمان والمكان [44].

والدراما الإغريقية لم تكن نصوصا تكتب ولا قواعد تتبع ، وإنما كانت حياة تمارس وواقعا يعاش ، وشعائر تؤدى، وأساطير تحفظ عن ظهر قلب .

2- البدايات الأولى للدراما الإغريقية :

يعد الشعر الهوميري المرحلة الجنينية المتطورة للدراما الإغريقية، وأسطورة ديونيسوس هي الأصل الذي أخذت عنه، حيث كانت أغاني ديونيسوس الجماعية هي البذرة الأولى التي أدت إلى ظهور الدراما بفروعها الثلاث: التراجيديا والكوميديا والمسرحية الساتيرية ، وسوف نتطرق إلى أسطورة ديونيسوس وعلاقتها بالدراما.

أ - أسطورة ديونيسوس :

كان الطابع الرئيسي لديونيسوس أنه إله ريفي يرعى الخضرة ويحمل لقب (حامي الأشجار) كما يحمي كافة المزروعات وكل الخضروات ولا سيما الفاكهة . كما حمل لقب (المزهر ، والمثمر ،

والمورق ، واليانع ، وإله الخير ، وطيب النصيحة) . وفصل الربيع هو أزهى الأوقات لظهوره لأنه يبعث الحياة في الأرض ويكسوها خضرة .

ويعتبر ديونيسوس في المقام الأول إله الكروم ، ولهذا قدسه البشر ووضعوه في مصاف أكبر القوى الخيرة لانه خلصهم من الهموم ومنحهم الفرح والسرور45. وبما أن الخمر هي التي تبعث النشوة في النفوس وتدفعها إلى الغناء والرقص فإن ديونيسوس صار راعيا للشعر والموسيقى وحمل لقب (المغني) .

وقد أقام الإغريق احتفالات ومهرجانات دينية تعبدية لتكريم ديونيسوس ، ومن أوثقها ارتباطا بالدراما المهرجانات الأتيكية التي كانت تقام مرتين في السنة؛ الربيع والشتاء . وكانت هذه الاحتفالات تقليدية وبسيطة، حيث يتجمهر الناس ويسيرون في موكب إلى مذبح ديونيسوس لذبح الماعز كقرابين له تتقدمهم حسناء تقودهم .

ومن هذه الاحتفالات ولدت الكوميديا والتراجيديا ، فارتبطت الأولى بالمهرجانات الشتوية التي امتزج فيها الغناء بالنكات . أما الثانية فارتبطت بالمهرجانات الربيعية التي كانت تؤدى فيها الأغاني الديثورامبية .

ب – الديثرامب :

تعني كلمة ديثورامبوس " البابان أو المدخلان ، على أساس أنّ الأسطورة تجعل مولد ديونيسوس مزدوجا "[46] . وهي "أغنية جماعية تؤديها جوقة وهي تقوم ببعض الحركات التعبيريّة والرقصات التي تشرح وتؤكد معاني الكلمات . وكانت الرقصة الديثورامبية تسمى تيرباسيا . أما الموضوع الرئيسي لهذه الأغنية فهو أسطورة ديونيسوس أو بالتحديد عرض بعض مراحل حياته في أسلوب غنائي، وبوسيلة التنكر أو المحاكاة بالكلمة والحركة "[47]. ذلك أنّ المغنين – الراقصين أفراد الجوقة– كانوا يتنكرون على هيئة ساتيروي أو أية جماعة من أتباع ديونيسوس ، لكي يجعلوا الأحداث التي يسردونها أقرب إلى التّصديق والحيويّة .

وقد وفد الديثرامب من فريجيا في آسيا الصّغرى ، حيث كان يغنى بمصاحبة موسيقى فريجية خاصة تؤدى بواسطة الفلوت أو المزمار. ثم ازدهر في بعض المدن التي تعد مراكز مهمة في عبادة ديونيسوس ، كطيبة وكورنثة وجزيرة ناكسوس . وعلى العموم فالديثرامب في بدايته كان مجرد أغنية فلكلورية تقليدية ، ثم تطورت على أيدي شعراء ماهرين ومغنين راقصين محترفين ،

ودخل في الشعر الرسمي ذي القيمة الأدبية العالية [48]. وهنا نذكر أهم شعرائها الذين كانت لهم اليد الطولى في تحول الأغنية الديثرامبية إلى تراجيديا .

ج – شعراء الأغنية الديثرامبية :

ج-1- آريون: وهو أشهر عازفي المزمار، وهو "أول من أعطى عناوين ثابتة ومحددة للأغاني الديثرامبية، وأول من ابتدع الشكل الدرامي للرقصة الديثرامبية ، وأوجد النظام والنسق في تلك الرقصات التلقائية، وأول من ثبت عدد الراقصين فجعلهم خمسين ... واستبدل الموسيقى الفريجية بالنغم الدوري الثقيل ... كما أنه أوجد بعض الفقرات التي كانت تلقى بين الحين والآخر في أثناء الحوار، فتشكل أجزاءا حوارية موزونة "[49] .

تطورت الأغنية الديثورامبية في اتجاهين ؛ الأول وهو الأقدم يتمثل في استمرارها كأغنية جماعية تنتمي إلى الشعر الغنائي . والثاني وهو الأحدث يتمثل في أنها اشتقت طريقها إلى الدراما التمثيلية . ومن ثمة أصبح لها كلمتين : ديثورامبوس وتراجيديا ؛ الأولى الأغنية الجماعية . والثانية المسرحية التي تطورت عنها واستقلت بذاتها .

ج-2- ثيسبيس

ترجع الدراسات البداية الحقيقية للتراجيديا إلى ثيسبيس (527 ق.م)، لأنّه " هو الذي حوّل أغنية الجوقة الديثرامبية إلى مسرحيّة تمثيليّة ، وأوجد الممثل لأوّل مرّة في مقابل المغنّي أو الراقص "50 . فبفضله تحوّلت الأغنية الديثرامبيّة إلى مسرحية ، وخطت أولى خطواتها على طريق الدراما لتشق فيما بعد طريقها إلى المسرح .

وقد كان " الممثل الوحيد الذي استخدمه ثيسبيس يؤدي الأدوار كافة مع ما يستلزم ذلك من تنكر أو إحداث تغيير في المنصة التي كان يقف عليها قائد الجوقة الديثرامبية من قبل ليتحدث إلى بقية أفرادها"[51] . كما أنّه استحدث السّقيفة لتناسب الممثل الأوّل والتي تعد إلى جانب المنصة نواة خشبة المسرح الحديث ، إضافة إلى ذلك أخرج التراجيديا عن دائرة الأسطورة الديونيسية إلى نطاق أوسع شمل الأساطير الإغريقية الأخرى .

ونظرا لهذه المجهودات التي قام بها ثيسبيس، اعترف بالفن الدرامي اعترافا رسميا، وأصبح تقليدا سنويّا تقدم فيه العروض وتمنح في نهايته الجوائز .

ج-3- فرونيخوس :

كان من أشهر المتسابقين في العروض السّنوية بعد وفاة ثيسبيس، وقد كانت له إضافات تحسب له، حيث أخرج التراجيديا من جوّ الأساطير إلى رحاب الموضوعات التاريخيّة المعاصرة له، فلم تعد المسرحيات أسطورية فحسب، بل أصبحت تعرض المسرحيات التاريخية، كما أنّه:«ستخدم القناع النّسائي، وأضفى على الفن التراجيدي وقار المعاناة المأساويّة وجمال الشعر الرائع»[52] .

المحاضرة الخامسة

التراجيديا – رؤية مأساوية للقضايا الإنسانية

1- نشأة المسرح الإغريقي:

يعتبر المسرح من أقدم الفنون الأدبية التي اهتم بها اليونان فقد « كانت العروض المسرحيّة جزءا صميميا من من طقوس عبادة الإله ديونيس،فكانت تجري خلال الاحتفال بأعياده التي كانت تقام في آثينا خلال شهري آذار – نيسان(مارس أفريل) من كل عام،وكانت تمثّل بداية الرّبيع وافتتاح مواسم الخروج إلى البحر بعد العواصف الشتائية الباردة»[53] فالمسرح مرتبط بالأساس بالطقوس والعبادات اليونانية بل يكاد يكون جزءا من طريقة عبادتهم،فهم بواسطته يُظهرون« تأثّرهم بما ملأ حياة هذه الآلهة وهؤلاء الأبطال من خطوب فيفرحون بما نالهم من نعيم،ويحزنون بما أصابهم من شقاء »[54] وهناك أعياد دينية كثيرة كان يحيها اليونانيون احتفاء بالآلهة،ولعل أشهر تلك الأعياد،أعياد ديميتير،وديونيزوس،وحفلات الساتير و إيبيجين و تيسيبيس..

ومع أنّ المسرح ارتبطت نشأته بتلك الاحتفالات الدينية التي كانت تُقام للآلهة،إلا أنّ أعياد ديونيسوس:« كانت أهم المناسبات التي ساعدت على نشأة المسرحية لأنّ حياة هذا الإله امتلأت بكثير من الخطوب المحزنة و الحوادث السّارة وكانت تصوّر لليونان الظواهر الطبيعيّة التي تتعرّض لها زراعة الكروم،فشجيرات العنب تصفر وتذبل في الشتاء وعندما يأتي الربيع تدبّ فيه الحياة من جديد...وفي الصيف تُثمر وتنضج الأعناب ثمّ تُجمع وتُعصر،وكان موسم الحصاد هو وقت الابتهاج،كما كان ذبول الأوراق وموت الأغصان وقت الحزن والألم،وكان اليونان يرون في حياة هذا الإله صورة لزوال المخلوقات وبعثها من جديد،وكانوا يُمجّدونه بإقامة الاحتفالات و المهرجانات العظيمة التي يسرون فيها عن أنفسهم بالغناء والرقص »55ومن ذلك يُجمع مؤرّخوا الأدب أنّ فني الكوميديا و التراجيديا مرتبطان في ظهورهما بهذا العيد (ديونيزوس)،فالتراجيديا مرتبطة بجفاف واصفرار شجيرات العنب،أما الكوميديا فمرتبطة بعودة الحياة للكروم.

2- تعريف التراجيديا :

أ- **لغـة :** التراجيـديا كلمـة يونانيـة تعنـي " أغنيـة المـاعز، ولعـل هـذه التسـمية جـاءت مـن أنّ الساتيروى أو أفراد جوقة الديثرامب كانوا يسمون المعيز لتنكرهم في جلود الماعز، أو بسبب الحرية والتسيب اللذين اتّسمت بهما تصرفاتهم وكلماتهم وهم يغنّون في مهرجانات ديونيسوس الرّبيعيّة "[56] . ويطلق هذا اللفظ على الدراما التي تصوّر الإنسان السّامي وما يتعرّض له في هذه الحياة بفعل القدر، فكأنّ المآسي التي يعانيها الإنسان في حياته هي التي ربطت التراجيديا بالمأساة .

ب- اصطلاحا : يعرّف أرسطو التراجيديا بأنّها " محاكاة فعل تام نبيل لها طول معلوم بلغة مزوّدة بألوان من التّزيين، تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء. وهذه المحاكاة تتم على يد أشخاص يفعلون، لا عن طريق الحكاية والقصص، وتثير الرّحمة والخوف، فتؤدي إلى التّطهير من هذه الانفعالات "[57]. فأرسطو هنا يوضح طبيعة التراجيديا ووظيفتها الأساسيّة ولغتها الشعرية الموشاة بأنواع التزيين المختلفة .

إنّ التراجيديا تصوّر قصّة بطل تنتهي حياته نهاية مأساويّة تتمثل في فاجعة تثير الشفقة عليه من ناحية، ومن ناحية أخرى تشعر المشاهد بالخوف من مثل مصيره، وهذا ما يؤدي إلى التّطهير، أي تطهير الإنسان نفسه من كل ما يغضب الآلهة حتى لا يتعرّض للعنتها

لكن أكثر الفنون الأدبية الإغريقية شهرة وأكثرها التياطا بنفس الإغريقي هو المسرح.

<u>أعلام المسرح الإغريقي:</u>

للمسرح الإغريقي أعلام كثيرون كان لهم الفضل الكبير، والباع العظيم في دفع عجلة المسرح والرقي به إلى أعلى المراتب،ولأنّ التراجيديا نالت مكانة مرموقة في المسرح اليوناني فإنّنا نجد من أشهر كتابها،بل مؤسسيها،الثلاثي التراجيدي المعروف وهم (أسخيلوس، سوفوكليس و يور بيدس)هم أشهر كتاب التراجيديا اليونانية على الإطلاق وأن« مَنْ عداهم ممن اشتغل بهذا الفن،ليسوا إلا مقلّدين وتابعين »[58] ،أمّا عميد الكوميديا الإغريقية فهو(أرسطو فانيس).

عرف المسرح اليوناني على يدي هذا الرباعي نُقلة عملاقة،حيث تميّزت التراجيديا من شاعر لآخر بخصائص وإضافات تقنية وفنية جعلت من المسرح الإغريقي إلى يومنا هذا المثل الذي يحتدى.

تحدّث بعض المؤرخين عن كتاب للمسرح سابقين من أمثال ثسبيس، خويريلوس ، فرونيجوس، وقد عاش هؤلاء في منتصف القرن الخامس ونهاية السادس قبل الميلاد،إلا« أن جميع الروايات تعتبر ثيسبيس أشهر شعراء المأساة في ذلك العصر استطاع بشهرته أن يحقق لنفسه الخلود و يمحو أسماء منافسيه من صفحات التاريخ »[59]ومن أشهر مسرحيات تلك الحقبة (الكهنة

ونثنيوس)لثيسبيس ،أما فرونيجوس فقد وصلنا من أعماله تسع مسرحيات أشهرها (المصريون ،الفينيقيات،الكستس..)[60] لكن لم يبق من هذه المسرحيات إلا عناوينها،وبعض الصفحات المتناثرة هنا وهناك.لكن بعد ذلك – وكما سبقت الإشارة إليه – « شاهدت آثينا أروع المسرحيات التي جادت بها قريحة أيسخولوس و سوفوكليس ويوربيدس،ومع أنّ ثلاثتهم كانوا معاصرين عاشوا في نصف قرن واحد إلا أنّ مؤلّفاتهم يختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافا شديدا »[61] ،لعدّة أسباب تقنية وفنية سنتعرض لها لاحقا.

أسخيلوس:

تكاد تجمع الدراسات على أنّ المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية شحيحة جدا،حيث « لا نكاد نعرف عن طفولته شيئا يُعتدّ به اللهم إلاّ بعض خرافات وأساطير، منها الأسطورة التي تروي أنه قد أخذته سنة من النّوم تحت كرم في حديقة والده فرأى فيما يرى النائم أنّ ديونيزوس نفسه قد قدم عليه وبشّره بأنّه سيكون من فحول الشعراء»[62]، ولعل هذه الرؤيا جعلته يقتنع بأن يكون شاعرا فحسب ، فقد« ورث إيسكيلوس كثيرا من صفات الأرستقراطية عن أسرته، فنشأ أنفا أبيا في حياته الخاصة والعامة غير أنّه قد غلا في أنفته وإبائه وترفّعه حتى أنّه لم يحاول أن يتقلّد منصبا حكوميا أو يشغل وظيفة من وظائف الدولة »[63].

تتفق الدراسات على أنّ أسخيلوس بن يوفوريون« ولد حوالي525 ق.م في آليغيسين وكانت أسرته من ملاّك الأراضي،وشهد الصراع الذي كانت آثينا تخوضه ضد أعدائها،وشارك فيه بنفسه وحارب في جيش بلاده ضد الفرس،وكان من نتيجة تلك الحرب أن تضاعف إيمانه بأفضلية النظام الديمقراطي الآثيني وجدارته بالحياة والاستمرار،من النظام الاستبدادي المطلق الذي الذي كانت تعيشه بلاد فارس وقد انعكس ذلك في أدبه»[64] كما تميّز أسخيلوس بكونه محافظا و متدينا« وقد ظهر أثر هذا التدين في مؤلفاته،فنراه في جميع كتاباته محبا للآلهة مطيعا لهم يُجلّهم ويعترف بسلطانهم يصورهم وهم يتحكمون في مصير الإنسان ويُخضعونه لأرادتهم بعد حرب عنيفة تدور بين إرادة البشر الضعيفة وبين مشيئتهم القوية،ونرى الشاعر في معظم مسرحياته يُظهر الإرادة الإنسانية متكبرة مغرورة تنكر ضعفَها وتختال بقوتها وتمضي في غرورها حتى تعرف الحقيقة المُرّة فتذعن مرغمة كارهة»[65] بل وأكثر من ذلك فقد عُرف عن أسخيلوس« اختلاط التقاليد المتوارثة بالأفكار الحديثة المستجدّة،فإلى جانب إيمانه بالمسؤولية الموروثة و انتقال خطيئة الأجداد إلى الأحفاد وكان يؤمن بمسؤلية الإنسان الشخصية.بل وبأنّ الآلهة أنفسهم يقومون بحماية التقاليد الديمقراطية الأثينية التي يشارك الإنسان فيها بكل حريّته »[66] وبالتالي يمكن القول أن أسخيلوس كان شديد التديّن كما كان شديد المحافظة على التقاليد اليونانية الأصيلة،وقد جسّد كل ذلك في مسرحياته.

خصائص مسرح أسخيلوس.

شارك أسخيلوس في الكثير من الحروب التي خاضتها آثينا ضدّ أعدائها، وبخاصة تلك التي كانت ضد الفرس، ومن أشهر تلك المواقع التي شارك فيها أسخيل « موقعة مورتون الشهيرة سنة 490 ق.م في عهد دارا كسرى فارس ،...واشترك في موقعة سلامين Salamine سنة 480 ق.م 479 ق.م في عهد جزرسيس بن دارا كسرى فارس »[67].لذا نجد معارك آثينا، ضد الفرس قد نالت اهتمام الشاعر، فأنشأ مسرحيته (الفرس)التي أوضح من خلالها « أنّ مصدر نكبتهم وهزيمتهم،إنّما هو طغيان ملِكِهم وعنادِه للآلهة وخروجه عن أمرهِم،ثم أنهى مسرحيته بإظهار هذا المَلِك الطّاغي خانعاً ذليلاً مستسلما لما قضت به الآلهة »[68]،ولعل هذا ما يؤمن به الشاعر إيمانا راسخا – كما سبق وأن أشرنا –

وممّا سبق ذكره يمكننا أن نستشف مميزات،وخصائص مسرح أسخيلوس واتجاهه العام،ولقد لخّص أرسطو ذلك بقوله إنّ « أسخيل هو أول من زاد عدد الممثلين من واحد إلى اثنين و أضعف من دور الجوقة وأعطى الأهميّة للحوار »[69] فبعدما كان للجوقة الريادة في المسرح اليوناني ،تقلّص دورها بزيادة ممثل و أعطى أهمية كبرى للحوار،بحيث لمّا « جاء الممثل الثاني أصبح بإمكان الشاعر تعميق الحدث المسرحي عن طريق وضع قوّتين متعارضتين،مثلما صار ممكنا تحديد طابع هذه الشخصية أو تلك على أساس الانعكاسات الصادرة عن الشخصية المقابلة ومسلكها »[70] كما تميّز أسخيلوس في تصويره لشخصيات مسرحه،بميزات معينة لم يخرج عنها في جميع مسرحياته تقريبا،حيث « كان الشاعر لا يطيل الحوار ولا يُسهب في غناء الجوقة ليصف أشخاصه أو يحلل عواطفهم،ولكنه يصوّرهم على أنّهم لا يقبلون الجدل في تصرفاتهم ولا يحاولون تبريرها بل يتجهون إلى أغراضهم ويحاولون الوصول إليها في قوّة وعزم،ولقد طبع شخصياته كلها بقوّة نادرة وإباء شديد،حتى بدت جميعها – رجالا ونساء – وقد تميزت بهذه الصفات »[71].

لذا نجد أسخيلوس يحث الممثلين دائما على إجادة أدوارهم وبذَل الجهد لإشعار المتفرجين بأنّهم يرون شيئا حقيقيا وليس مجرّد تمثيل،وبإضافة أسخيلوس للممثل الثاني في مسرحياته،وأحيانا ثالث،تطلّب منه ذلك أن يُراعي تدابير المسرح وتنظيمه من الناحية المادية حتى يتمكن الممثلون من محاكاة الحقيقة« يضافُ إلى ذلك عنايته بلباس الممثلين وأحذيتهم..مما صبغ التراجيديا بصبغتها المعروفة وكان مصدرا لرقي هذا القسم المادي من التمثيل بعد أن كان الأمر مقصورا أيام (ثيسبيس)،على أن يصبغ الممثل وجهه بأصباغ مستخرجة من المواد الراسبة في النبيذ، ويرجع إلى أسكيلوس كذلك الفضل في تحديد الأوضاع الفنّية للقصّة، فليس من شكّ في أنّه وضع للدرامة التراجيدية شروطها و قوانينها، وحدّد لها أغراضها وما إلى ذلك من الأمور التي أصبحت من بعده دستورا يسير عليه كل من يحاول التأليف المسرحي »[72].

« كان آسخيلوس كبقيّة شعراء التراجيديا الإغريق،رجلَ مسرح بالمعنى المتكامل للكلمة،أي أنّه المؤلّف و المخرج و الممثل الرّئيسي في مسرحياته، وأخذ دور القيادة في عمليّة العرض من بدايتها إلى نهايتها،ولقد أظهر براعة فائقة و أصالة ملموسة في الجانب التّطبيقي، بنفس الدّرجة التي كان عليها في مجال التأليف »[73] فأسخيلوس طاقة إبداعيّة كبيرة، مؤلّفا و مخرجا وممثّلا، وقد ذهب آسخيلوس في إضفاء لمساته الإخراجيّة،

« ولكي يَخلعَ على شخصياته سمة العظمة و الفخامة،اخترع ملابس خاصة لممثلي التراجيديا، تُعطيهم وقارا يفوق الحالة البشرية، وذلك بالعمل على زيادة طولهم وحجمهم سواء باستخدام نعالٍ خشبيّة مُرتفعة،أو باللجوء لوسائل الحشو،أو بلبس الأردية الفضفاضة و المزركشة بألوان لامعة،ووضع على وجوه الممثلين أقنعةٌ لها طابع يثيرُ الحزن و الخوف (Prosopeia deina)،وبلغ من نجاح هذه الإضافات التي أدخلها أيسخيلوس، أنّها ظلّت تُستخدم من بعد عصره وطيلة عدّة قرون،ومن الطّبيعي أن يوسع أيسخيلوس منصّة التمثيل لتسع مُمَثليْن بلاً من ممثّلٍ واحد ومعهما الأتباع و الخدم، بل و الجوقة نفسها أحيانا»[74]وغيرها من الإضافات التي زادها آيسخيلوس في مسرحه بشكل خاصّ، و على المسرح الإغريقي عموما،وفي الأخير يُمكن القول بأنّ مسرح أسخيلوس يتميّزُ« بالفخامة و السّمو و القوّة في العبارة و في الطابع العام،فمسرحياته تتّسم بأنها أعمالٌ فنّيةٌ ضخمة،نُظمت و عُرِضت في جوّ من العظمة و الأُبّهة، كلّ شيء فيها من الحبكة إلى الشخصيات ومن اللغة إلى الأوزان...والانطباع الكلّي الذي يخرجُ به المرء من هذه المسرحيات هو الشعور بالتبجيل لهذه العبقرية،لعل أبرز الزوايا في مسرح آيسخيلوس من حيث الفخامة،هي الزاوية الأخلاقية،فمع تنوّع موضوعات مسرحياته التي وصلتنا نجد فحواها الرّئيسي العام هو عدالة الآلهة، والقوّة الغلابة للقدر و العواقب الوخيمة لمن يعترض طريقه من البشر المجرمين فاعلي الشر»[75].

كتب أسخيلوس العديد من المسرحيات التي جسّدت التاريخ اليوناني القديم،ويقدّر عددها بحوالي تسعين مسرحية،ولكن لم يصل من هذا الإنتاج الغزير سوى سبع مسرحيات « كاملة أصاب نصوصَها شيء غير قليل من التحريف وهي مرتبة حسب تاريخ تمثيلها الظّنّي على الوضع الآتي:المستجيرات LES SUPPLIANTES- الفرس LES PERSES- السبعة يحاصرون طيبة LES SEPT CONTRE THEBES– برميتيه مغلولا PROMETHEE ENCHAINE- أغا ممنون AGAMEMNONE- مقدّمو القرابين LES CHEOPHORES– الأومينيديس LES EUMENIDES »[76].

وقد اختلفت المصادر في تسمية بعض مسرحيات أسخيلوس مع بقاء المضمون نفسه، إلا أنّ الثلاثية الأرستية تُعدّ « واحدة من أفضل المسرحيات التي حفظها التاريخ من أدب أسخيل وهي آخر ما كتبه الشاعر سنة 458 ق.م وأكثر مسرحيّاته خصبا وتعقيدا»[77].

الثلاثية الأورستية:

تُعدّ معظم أعمال آيسخيلوس التي وصلتنا،قمّة في الرّوعة و الجمال الفنّي،لكن مُعظم الباحثين يجمعون على أنّ الثلاثية الأوريستيّة من أروع ما أبدع الشاعر آيسخيلوس، وهي كما سبقت الإشارة آخر ما كتبه الشاعر« وأكثر مسرحياته خصبًا وتعقيدا،...وموضوع الأوريستيا هو مصير أحفاد (أتريوس) الذين كانت تلاحقهم لعنة الآلهة،بسبب قصّة طويلة بدأت بالجد الأول(تانتال) الذي كان صديقا (لزيوس) نفسه،ثم أساء إلى حقّ الصداقة فنال عقاب الإله الأكبر وعذابه ولعنتهُ»[78] فموضوع الثلاثية الأوريستية إذا هو توارث لعنة الآلهة،يرى الدكتور أحمد عتمان،أنّ تريوس هو الذي بذرَ« بذور اللعنة الأولى عندما قتل أبناء أخيه(ثيستيسْ)وزاد (أغاممنون) الطّين بلة عندما ذبح ابنته(إفيجينيا) مضحّيا بها قُربانا للآلهة في سبيل مجده الحربي، و ها هي الثلاثيّة الأوريستية تعالج نتائج تراكم اللّعنة، ف(كليتيمنسترا) تستغلّ غياب زوجها،وتَعشَق ابن عمّه العدو اللدود (إيجيسثوس)،وبالتعاون مع الأخير تقتل هذا الزوج لذى عودته من طروادة منتصرا و جالبا السبايا،وعلى رأسهن(كاسندرا)بنت ملك طروادة(بريماموس)...ويقتل (أوريستيس)الزانيين القاتلين،أي أمّه و إيجيبتوس »[79].

<u>سوفوكليس:</u>

بلغ سوفوكليس بالتراجيديا الإغريقية قمة النضج والكمال، وتربّع على عرشها حتى قرن اسمه باسم هوميروس، فقيل إنّ "هوميروس هو سوفوكليس الملاحم، وأن سوفوكليس هو هوميروس التراجديا"[80] .

و ثاني أبرز كتّاب التراجيديا اليونانيّة هو سوفوكليس(سوفوكل)(496– 406 ق.م) « يعود سوفوكليس بأصله إلى مدينة كولون، التي خلّدها في مسرحيّته (أوديب في كولون) وكانت أسرته واحدة من الأسر الثرية في اليونان وكان لأبيه مصنعا للأسلحة وكان سوفوكليس من أنصار الأفكار المعتدلة الدّيمقراطية، وبقي من بين المحافظين على الروح التقليدي القديم ومن الرّافضين للأفكار الجديدة »[81].

وقد عاش سوفوكليس طيلة القرن الخامس تقريبا، أي في العصر الذهبي لأثينا، حيث تلقى تعليما تقليديا قائما على أسس النظام التربوي الإغريقي القديم، وأبدى منذ بداية حياته التعليمية

"استعدادا فائقا لاستيعاب كل الدّروس ، وبزّ كل أقرانه. وكانت رشاقته في الحركة ومهارته في الرقص ووسامته من المؤهلات الملموسة في شخصه حتى أنّه اختير بعد هزيمة الفرس في ماراثون عام 490 كواحد من أعضاء الجوقة التي تشرفت بأداء نشيد النّصر"[82].

تقلد سوفوكليس عدّة مناصب منها خازنا للضريبة عام 436 ق.م ، وسفيرا لبلاده لدى عدة مدن في مناسبات مختلفة، واختير قائدا للجيش مرّتين؛ الأولى سنة 440 ق.م والثانية بمشاركة القائد الشهير نيكياس . وقد ظهر كمؤلف تراجيدي لأول مرّة عام 468 ق.م وكان عمره آنذاك ثمانية وعشرين سنة، حيث فاز بالجائزة الأولى . وهذه السنة تعد "المنطلق الرئيسي لصعود نجم هذا الشاعر في سماء الفن والفكر الأثينيين"[83] . وقد استمر في عطائه وعرض تراجيدياته حوالي ستين عاما، وظل ينتقل من نجاح إلى آخر حتى نهاية العمر.

وقد ورد في رواية عن حياة سوفوكليس " أنه تعلم التراجيديا على يد أسخيلوس. بيد أنّ أحدا لا يملك دليلا على وجود علاقة شخصية مباشرة بين الشاعرين ولا سيما في السنين الاولى من حياة سوفوكليس. ومن ثَمّ فالمرجح أنّ العبارة تشير إلى التأثير الذي مارسه أسخيلوس على كل من لحقوه من شعراء التراجيديا في مقدّمتهم سوفوكليس"[84] .

ب-2- مسرحياته :

يتراوح العدد الإجمالي لمسرحيات سوفوكليس فيما بين 103 و130 مسرحية "أخذ موضوعات نصفها من الحرب الطرواديّة. والملاحظ أنّه أهمل أسطورة ديونيسوس مع أنّها المنبع الأصلي للدراما، وشق طريقه الخاص حين احتفى احتفاء ملموسا بأساطير مسقط رأسه كولونوس. وبالمقارنة مع أسخيلوس من حيث مصادرهما الملحميّة والأسطوريّة، نجد أنّ سوفوكليس يتجنّب كل ما هو فوق مستوى البشر، فيقترب من كل ما هو آدمي"[85]

نال سوفوكليس المرتبة الأولى في مهرجانات ديونيسوس، وفاز بالجائزة الأولى ثماني عشرة مرّة، كما فاز بجائزة مهرجانات الليناية عدة مرات، وهذا لا يعني أنّه دائما في الطليعة، ولكنه في بعض المرّات حصل على الجائزة الثانية. وتجدر الإشارة إلى أنّ مسرحيات سوفوكليس لم تصلنا كلها، حيث فقدت جميعها ما عدا سبع منها تعود إلى فترة نضوجه، وتمثل نمطا واحدا من الكتابة الدرامية ذات المستوى الرّفيع. ومن مسرحياته: أوديب في كولونوس، أنتيجوني، بنات تراخيس، إياس، إلكترا، فيلوكنيتيس .

ب-3- مميّزات مسرحه :

من أهم التّجديدات التي أدخلها سوفوكليس على التراجيديا هو إيجاد الممثل الثالث، وبذلك أكمل ما بدأه أسخيلوس، وهذه الخطوة أضعفت دور الجوقة وسمحت بإبراز الحدث الدرامي من خلال زيادة حجم الحوار بين الممثلين، وتشابك الأحداث وتداخل الشخصيات وتنوعها، ما جعل هذه " العناصر الدراميّة مجتمعة أكثر اجتذابا للجمهور"[86] .

والخطوة الثانية التي قام بها سوفوكليس هي تخليه عن البنية الثلاثية للمسرحية الأسخيلية وهذا يعني أنه يقدم كل مسرحية مستقلة بذاتها عن غيرها، فالموضوع في الرباعية (ثلاث تراجيديات ومسرحية ساتيرية) ليس واحدا متّصلا كما كان الحال عند أسخيلوس.

اتسمت مسرحياته وخاصّة تلك التي وصلتنا كاملة بتطور وتنامي العقدة الدرامية ذات البنية المكتملة، وهذا ما يميزها عن المسرحيات الأسخيلية التي اتّسمت بـ "قلة في تعقيد الحدث، ووفرة في عنصر السّرد، وغزارة في الغنائيّة "[87] . ولهذا فإن الحبكة الدراميّة عند سوفوكليس تقترب من تعقيد الحبكة المتشابكة في بعض اتجاهات المسرح الحديث والمعاصر.

سلط سوفوكليس الضوء في مسرحياته على النفس البشرية، وبذلك غيّر وجهة مسرحه من قضايا الدين والأخلاق التي شغلت أسخيلوس إلى قضايا الطبيعة البشرية. وقد كان همّه الوحيد في بنية مسرحيته وحبكتها وترتيب مشاهدها هو رسم الشّخصيّة، وقد برع في تقديم "الصّورة البشريّة بدقة متناهية، محللا الدّوافع الرّئيسة لكل شخصيّة، ومتعمّقا في روح الإنسان وقلبه على نحو لم يسبق له مثيل"[88].

ركز سوفوكليس على الإنسان وحاول تقديمه في صورة مثالية مبتعدا عن الفخامة المبالغ فيها عند أسخيلوس، ولكنه رغم ذلك لم ينزل إلى الواقعية التي عرف بها يوربيدس. فشخصياته مع ما تعانيه من انفعالات وعواطف عادية احتفظت بعظمة البطولة الملحمية القديمة، وحتى الخبيثة منها تمتعت ببعض الملامح المضيئة، "إذ أنّ رذائلهم لا تتعدّى حدّة الغضب او الميل أو الانتقام أو الإسراف في الطموح ولكنها لم تصل قط إلى الدّناءة أو الجبن المرذول"[89] .

كانت لغة سوفوكليس في مسرحياته تجمع بين البساطة والسّمو، والقوة والجمال في آن واحد، وتميز أسلوبه بالدّقة والإحكام، وقلة الصّور الشعريّة والمجاز والصّفات، كما استخدم في بعض الأحيان الأسلوب الساخر المليء بالمفارقات التراجيدية .

ويمكن القول أنّ مسرح سوفوكليس يمثل المرحلة الثالثة من مراحل تطور الدراما الإغريقية والتي تميزت بالنضج والكمال، حيث سار بها قدما نحو القمة، وذلك من خلال تطوير جهود سابقيه، وسد أوجه النقص في أعمالهم شكلا ومضمونا.

ج- يوربيدس :

ج-1- حياته :

ولد يوربيدس حوالي عام 480 ق.م من أسرة تتمتع بمركز اجتماعي مميز، وقد كان تلميذا مخلصا للسوفسطائيين ومتحدّثا باسمهم، حيث وضع الإنسان لا اللاهوت في مركز الكون[90]. كان متشككا في تعامله مع الدين والأساطير السّائدة في المجتمع الأثيني آنذاك. ولم يكن على وفاق مع أفكار عصره، بل كان تقدّميّا، ثوريّا في آرائه، ومتمرّدا في كتاباته، في حين كان معاصروه مستسلمين وخاضعين للعادات والتقاليد، وهذا ما عمّق الهوّة بينهم . فيوربيدس يسبق عصره بمراحل عديدة، وهذا ما جعل تأثيره على المسرح الأوربي يتعدى تأثير أي شاعر تراجيدي إغريقي آخر [91].

ج-2- مسرحياته :

كتب يوربيدس حوالي تسعين مسرحية لم يصلنا منها سوى سبع عشرة تراجيدية ومسرحية ساتيريّة واحدة. خمسة منها أخذ موضوعاتها من حلقة الحرب الطروادية، والباقي أخذ موضوعاتها من أساطير طيبة وأرجوس . ومن أقدم مسرحياته (الكيستيس) التي عرضت عام 438 ق.م التي تدور أحداثها "حول تضحية البطلة الكيستيس بنفسها في سبيل إنقاذ زوجها غير الجدير بالتضحية والفداء"[92] . كما كتب مسرحيتين حول سيرة هرقل؛ الأولى أبناء هرقل وقد عرضت عام 430 ق.م ، والثانية هرقل مجنونا وعرضت عام 416 ق.م، وهي تعالج مسألة الحرب والسلم، فضمنها يوربيدس خلاصة رؤيته لأسطورة هرقل التي لعبت دورا مهما في تاريخ الفكر والمسرح التراجيدي[93] ولعل أحسن مسرحياته (ميديا) التي عرضت عام 431 ق.م، وتعد رائعة يوربيدس بحق حيث "تتفوّق على جميع مسرحيّاته بالإحكام في الحبكة الدرامية، والتركيز على الحدث الدرامي على شخصية البطلة "[94] . كما كتب ثلاث مسرحيات تصوّر الخيانة الزّوجية وتحتقر الجنس الآخر وهي: هيبوليتوس، هيكابي، وأندروماخي . إضافة إلى مسرحيات أخرى تميل إلى الواقعية منها: إيون، هيليني، الفينيقيات ، أوريستيس .

المحاضرة السادسة

ميلاد الكوميديا

1- تعريف الكوميديا :

أ- لغة : الكوميديا كلمة إغريقية تجمع بين كلمتي (كويوس وأودي)؛ فأمّا الأولى "(كويوس) بمعنى احتفال أو موكب ريفي صاخب ومعربد، والثانية (أودي) بمعنى أغنية من الأغاني والرقصات التي كانت تؤدى في أنحاء الريف الإغريقي إبان الحصاد ولا سيما قطاف العنب المرتبط بعبادة ديونيسوس إله الخمر "[98] .

ب- اصطلاحا : إن التعريف الاصطلاحي للكوميديا عند الإغريق لا يختلف كثيرا عما هو معترف به في العصر الحديث، فالمسرحيات الكوميدية المعاصرة هي التي تكتب بأسلوب ساخر ومرح، وتتضمن أحداثا وشخصيات مضحكة. أما الكوميديا الإغريقية فهي التي "عرفت بنكاتها التقليدية، وأسلوبها الساخر، ونقدها الكاريكاتوري، تصوّر ظروف العصر والمجتمع الذي نشأت فيه "[99] . فهي تخفي وراء الشخصيات والأقنعة الغريبة والأحداث المضحكة صورة حيّة لحقيقة الوضع في أثينا .

ولم تستمد الكوميديا موضوعاتها من الأسطورة كالتراجيديا، وإنّما كانت "تعالج الأحداث معالجة متأنّية وتكشف عن بعض الأمراض الاجتماعيّة السّائدة كشغف الأثينيين بإقامة الدّعاوى القضائية والاختلاف إلى المحاكم، مما حول المسرح الكوميدي إلى منصّة تعالج القضايا السياسيّة والاتّجاهات الفكريّة من أجل المناقشة والحوار الجاد الذي يشارك فيه الشاعر والممثلون والجوقة من ناحية ، والمحكمون والجمهور من ناحية أخرى"[100] .

وإن كانت الكوميديا أسلوبا قد تطور من الطقوس والاحتفالات الديونيسية التي كانت تتضمّن الغناء والنكات، ونشأت جنبا إلى جنب مع التراجيديا إلا أنّ البداية الحقيقية لظهورها كانت مع كراتينوس(520-423 ق.م)، وكراتيس الذي فاز بالجائزة الأولى في المباريات المسرحية سنة 450 ق.م . غير أنه لم يصلنا من أعمالهما سوى شذرات قليلة .

2- أرستوفانيس :

أ- حياته :

ولد أرستوفانيس حوالي عام 445 ق.م إبان العصر الذهبي لبريكلس، ولم يبدأ عمله المسرحي إلا بعد الحروب البلوبونسية سنة431 ق.م، وتعود أغلب مسرحياته الكوميدية إلى الفترة التي أصبح فيها البناء الديمقراطي الأثيني ضعيفا، متصدّعا بسبب الحروب الخارجية والمشاكل الداخلية.

ب- مسرحياته :

خلف أرستوفانيس أربعا وأربعين مسرحية لم يصلنا منها كاملة إلا إحدى عشرة فقط، تختلف فيما بينها في المواضيع والقضايا المطروحة، وكان أولها (المشتركون في الوليمة) التي عرضت عام 427ق.م ويعالج فيها قضية تربية الأبناء، حيث يعرض أبا يربي ابنيه بطريقتين مختلفتين؛ تقليدية قديمة ومعاصرة، مبيّنا أفضلية الأولى عن الثانية. ثم تلتها مسرحية (البابليون) التي عرضت عام 426 ق.م ويهاجم فيها الزعيم السياسي الديماغوجي الغوغائي كليون . وهاتين المسرحيتين لم تصلنا كاملتين.

وأقدم مسرحية وصلتنا كاملة هي (الأخارنيون) التي عرضت سنة 425 ق.م وفازت بالجائزة الأولى في أعياد الليناية. ثم تلتها في العام الموالي مسرحية (الفرسان) التي هاجم فيها كليون أيضا وقدم صورا كاريكاتيرية للقواد الأثينيين ، وقد فازت بالجائزة الأولى .

وقد قدم مسرحيتين تشتركان مع (المشتركون في الوليمة) في الموضوع هما، السحب والزنابير؛ أمّا الأولى ففازت المرة الأولى بالجائزة الثالثة فأعاد تنقيحها وعرضها من جديد، وهذه المنحقة هي التي نعرفها اليوم . وأما الثانية فقد فازت بالجائزة الثانية عام 422 ق.م وموضوع هته المسرحيات هو الصراع بين القديم والحديث، فهي "تعالج التناقض الفكري والتربوي بين القديم والجديد ... وتعتبر نقدا ساخرا لنظام محاكم المحلفين القضائية، ولروعتها وغناها الساخر قلدها راسين في كوميديته الوحيدة (المتقاضون) في عام 1668 "[101]

وتعد مسرحية (ليسيستراتي) من أروع أعمال أرستوفانيس وأشهر مسرحياته، حتى أنّ الكثيرون حاولوا تقليدها ومعارضتها في مسرحيات روايات وأفلام سينيمائية، وتعالج هذه المسرحية قضية

ج-3- مميّزات مسرحه :

موضوعات مسرحياته استقاها من الأساطير التراثية، وبالأخص تلك التي لم تستغل بعد، ولكن ما ميّزه عن أسخيلوس وسوفوكليس هو التعامل مع هذه الأساطير بحرّية، فيحذف منها ويضيف إليها ما يناسب غرضه المسرحي، كما حصل لشخصية هليني في الطروادیات، وشبحها في المسرحية التي خملت اسمها عنوانا. وهكذا فقد تعدّت إضافاته إلى التجديد والابتكار .

لم يعد الصراع الدرامي في مسرحياته صراعا بين الإنسان والآلهة كما كان عند أسخيلوس، ولكنه "صار صراعا داخليا سيكولوجيا يحتدم بين الإنسان ونفسه، وبعبارة أخرى بين النوازع المتضاربة داخل النفس الإنسانية"[95] .

كان يوربيدس مؤلفا بارعا، كرّس عبقريّته للتعبير عن الإنسان ورغباته، وحاول الغوص في أعماقه وسبر أغوار مشاعره الداخليّة، سواء في ذلك الرجل أو المرأة. بل ركز على المرأة وأعطاها أدوار البطولة وصور نفسيتها تصويرا دقيقا، لأنّها الأقدر في التعبير عن مكنونات النفس، والأكثر إظهارا للانفعالات البشرية .

كانت مسرحياته تميل نحو الواقعية، فشخصياتها عادية تسمو قليلا لكنها تخطئ وتصيب حاول فيها تحليل النفس البشرية والتطرق إلى أمور الدين بعقلانية، "فبطله لم يعد الشريك الأضعف للآلهة، وينقاد لأوامرهم ويصدق تماما الأساطير والديانات بل أخضعها للتفكير العقلي"[96] .

تميّزت مسرحياته بالتفكك في البنية الدرامية ، وقد يرجع ذلك إلى أفكاره التقدمية الجديدة التي لم تكن منسجمة مع أفكار عصره .

وفي الأخير يمكن القول إنّ الثالوث التراجيدي برغم تعاصرهم إلا أنّ إنتاجهم التراجيدي مختلف، ولهذا« سمي مسرح أسخيلوس التراجيديا القديمة، ومسرح سوفوكليس التراجيديا الوسطى، ومسرح يوربيدس بالتراجيديا الحديثة »[97].